مُحاضرة حول مَوضوع:
كَيْفَ نُقَوِّي أحزاب اليَسار

رحمان النوضة (الصّيغة 9)

مُحتَوَيات العَرض

الفكرة رقم 1 : ضرورة تدقيق طريقتنا في التفكير.....9
الفكرة رقم 2 : ضرورة مُراجعة مفهوم الحزب.....10
الفكرة رقم 3 : أهمية تشخيص واقع اليسار.....11
الفكرة رقم 4 : الخلاف حول تفسير ضُعف اليسار.....11
الفكرة رقم 5 : الخلاف حول كَيفِية مُعالجة ضُعف اليسار.....13
الفكرة 6 : الخلاف حول التعامل مع النضالات الجماهيرية.....14
الفكرة رقم 7 : الخلاف حول مُمارسة النقد.....15
الفكرة رقم 8 : ضرورة الخَلاص من سُوء التَفَاهُمَات.....16
الفكرة رقم 9 : ضرورة المُراجعة النَقْدِيَة الشَّامِلَة.....17
الفكرة رقم 10 : التنظيم ضروري، لكنه لَا يكفي.....17
الفكرة 11 : الوحدة في العُقول هي أهم من الوحدة في التنظيم.....18
الفكرة 12 : الفرق بين الخط السياسي المُعلن، والخط المُطَبَّق.....19
الفكرة رقم 13 : أهمية عِلم الماركسية الثورية.....19
الفكرة 14 : ضرورة الاستعداد للانتفاضات المُحتملة.....22

الفكرة رقم 15 : الخلاف حول الاستراتيجية.....22
الفكرة رقم 16 : أهمية تكوين الحزب لِلكَوادر الكُفْئَة.....22
الفكرة رقم 17 : هل كل القِيَاديين قادرين على التَثْوِير.....23
الفكرة رقم 18 : ضَرورة التَشَدُّد في شُروط الوُصول إلى مَواقع المَسؤولية الحِزبية.....24
الفكرة رقم 19 : ضرورة المُحْتَرِفين الثوريين.....24
الفكرة رقم 20 : شَرط تَعاون اليَساريين مع الإسلاميين.....25
الفكرة رقم21 : أهمّية تأطير واستقطاب الشباب.....25
الفكرة رقم 22 : تَرتيب الطبقات المُستهدفة.....25
الفكرة رقم 23 : ضَرُورَة إعَادَة تَرْبِيَة أفراد الشعب.....26
الفكرة رقم 24 : الأهمية الحاسمة لتثقيف عامة الشعب.....26
الفكرة رقم 25 : ضرورة الاحتياطات ضد القمع.....27

هذا المقال هو نَصُّ محاضرة حول موضوع «كَيْفَ نُقَوِّي أحزاب اليسار» بالمغرب. وَقد أَلْقَى رحمان النوضة هذه المحاضرة في مَقرّ فرع "حزب الاشتراكي المُوحّد"، بالحي الحَسَنِي، بمدينة الدار البيضاء، في يوم 8 مارس 2020.

سواءً كانت الهَيْئَة المَعْنِيَة هي فَرْد، أم حِزب، أم مُجتمع، نُلاحظ أن السِرَّ العَظِيم الذي يجعل أَيَّةَ هيئة مُحدّدة تَتَقَدَّم وتَتَقَوَّى، هو كَوْنُها تجتهد في كلّ يوم لِتَعَلُّم أشياء جديدة، وتجتهد في كل يوم لِتَصْحِيح نَقَائِصِهَا، وَتَجتهد في كلّ يوم لِتَحْسِين إنتاجها وأَدائها. وكلّ هيئة تَفْعَل ذلك، سَتَتَحَسَّن،

وَسَتَتَقَوَّى بالضرورة، وَلَوْ كنت مَرْتَبَتُهَا الأَوَّلِيَة فَظِيعَة فِي التَخَلُّف. بينما الهيئة التي لا تفعل ذلك، فإنها سَتَتَقَهْقَر، وَسَتَتَخَلَّف حَتْمًا، وَلَو كانت مَرْتَبَتها الأصلية عَالِيَة جِدًّا.

———— ✶ ———— ✶ ————

أ) ■ أشكر فرع حي الحَسَنِي التّابع لِـ "حزب الاشتراكي الموحد" على اقتراح وتنظيم هذه المحاضرة، حول موضوع آني، وأساسي. إنه أول حزب يساري يسمح لي بإلقاء محاضرة على مُناضليه. ■ هذه المبادرة تحتوي على شجاعة سياسية، وعلى ثقة في النفس. ■ وأشكر الحاضرين المهتمّين بموضوع تَقْوِيم اليسار.

ب) ■ بأيّ ***صفة*** أتكلّم؟ عرضي الحالي هو مجرّد ***اجتهاد*** شخصي، ولا يُلزم أحداً غيري. وأتكلّم بصفتي مناضلًا يَغِيرُ على قوى اليسار. ■ آرائي نسبية، ويمكن أن تكون صائبة، كما يمكن أن تكون ناقصة، أو خاطئة. ■ وإن كُنتُ حاليا غير مُنخرط في أيّ تنظيم حزبي من بين أحزاب اليسار، فإنني أَنْتَمِي بِقلبي، وَبِنِضالي، إلى كل أحزاب اليسار. وَأُفَضِّلُ أن أكون ***مُحايِدًا*** في مجال المنافسة فيما بين أحزاب اليسار. ■ وإذا انتقدتُ قوى اليسار، فإنني ***لا أتعالى*** عليها، ولا أُعَادِيهَا، وإنما أطمح إلى المساهمة في تَقْوِيَتِها. وأحترم أحزاب اليسار، وأقدّرها، وأشتغل باستمرار بهدف المساهمة في تقويتها.

ت) ■ أعتبر هذه المحاضرة بمثابة ***ورش*** للتفكير الجماعي في بعض مشاكل قوى اليسار. ■ والمطلوب في هذا النقاش هو خُصوصًا الانفتاح، ولو مؤقّتًا، على الأفكار المُخالفة. وبدون "طَابُوهَات".

ث) ■ موضوع حوارنا هو "كيف نقوي أحزاب اليسار؟". وهو موضوع ***ضخم، ومتشعّب، ولا حَدّ له، وغير مُنْتَهٍ*** عبر الزمان. ■ ولا يمكنني أن أتناول ***سوى*** بعض جوانب هذا الموضوع. بمعنى أن عرضي سيكون بالضرورة ***جزئيا***، أو غير مكتمل. وعلى باقي مناضلي اليسار أن يدرسوا الجوانب الأخرى. هذا ورش لَا مُنته.

ج)■ بعد الانتهاء من إلقاء عَرْضِي الحالي، كيف ستكون ***مَقَايِيس "نجاح" أو "فشل"*** عرضي؟ سأقدّم في عرضي بضعة أفكار، قد تكون غير مُعتادة، أو غير معروفة. فإذا كان عرضي واضحًا، وإذا أقنعتكم ولو بفكرة واحدة أو 2، من بين 25 فكرة معروضة، فسأعتبر عرضي ناجحًا نسبيا. وإذا كان عرضي غير مفهوم، أو لم أستطع أن أقنعكم ولو بفكرة واحدة من بين بِـ 25 فكرة معروضة، فسيكون عرضي فاشلًا.

ح)■ لِتَسْهِيل ***التَفَاهُم*** أثناء عرض هذه المحاضرة، أَتَلَافَى تقديم عَرضي على شكل خِطاب عَادي، ومُسْتَرْسَل، تختفي فيه الأفكار الأساسية عبر سِلْسِلة من الجمل والفقرات المُتشابكة. وأُفضّل تقديم ***عَرضي على شكل أفكار مَفْصُولَة، وبارزة،*** وَمُرَقّمَة.

خ)■ لِتَلَافي سوء التفاهم، يجب تدقيق بعض المفاهيم. مَاذا أَقْصِدُ بعبارة «***اليسار***» بالمغرب؟ أقصدُ بها أحزاب اليسار ***الأربعة*** (حزب الاشتراكي الموحّد، وحزب الطليعة، وحزب النهج، وحزب المؤتمر الاتحادي)، ويشمل "اليسار" أيضا بعض التنظيمات، أو الجماعات، أو التيارات الثورية. ■ بينما حزب "الاتحاد الاشتراكي"، وحزب "التقدّم والاشتراكية"، هما حزبان يمينيّان، ولا يدخلان في اليسار. والأحزاب ***الإسلامية*** كلّها يمينية، ولا تدخل في اليسار. ■ مَا هي ***مَقَايِيسُ*** الانتماء لليسار؟

المشاركة في النضالات الجماهيرية، وخوض مُمارسة يسارية، ومعارضة النظام السياسي القائم، ومناهضة الرأسمالية والإمبريالية، ومناصرة الثورة المُجتمعية، ومساندة الطُّمُوح للاشتراكية، والدّفاع عن الحريات العامّة، وحقوق الإنسان، وحقوق المواطنة، والانحياز الملموس إلى طبقة المُسْتَغَلِّين وضدّ طَبقات المُسْتَغِلِّين، الخ.

الفكرة رقم 1: ضرورة تدقيق طريقتنا في التفكير

■ ما هي ***أحسن طريقة في التفكير؟*** ●***أوّلًا***، يجب أن لَا نخشى انفضاح جهلنا أمام العُموم. بل من مصلحتنا أن يَنْفَضِح جهلنا لِكي نَعِيَهُ، ونُقَوِّمَه. ●***ثانيًا***، يلزم أن نتذكّر دائمًا أن تطوّر المُجتمع لَا يَخضع للمنطق العادي، وإنما يخضع ***لِمَنطق جدلي***. والماركسية الثورية هي التي تُعلّمنا المنطق الجدلي. ●***ثالثًا***، لَا يكفي الخِطَاب الشفوي داخل الحزب. بل يجب ***أن نكتب*** تفكيرنا كلّه، في أيّ موضوع كان، وفي أيّة مُحاولة نقوم بها لِمُعالجة المشاكل (بما فيها مُحاولة معالجة مشاكل اليسار). ●***رابعًا***، يجب أن نُخْضِع هذا التفكير المكتوب ***لِمُناقشة*** أعضاء الحزب باعتبارهم معنيّين بهذا المُشكل. ●***خامسًا***، يجب أن نُخضع هذا التفكير ***للفحص، وأن نُدَقِّقَ كلّ تفاصيله***، وكل أفكاره، وكل جُمَلِه، وأن نُجَرِّبَه (إن كان هذا التجريب ممكنا)، لِكي نَتَأَكَّد من ملائمة كلّ تَفَاصِيله للعَقل، وللمنطق، وللعلوم. ●***سَادسًا***، يَلْزَمُنَا أن نُصَحِّحَ كلّ ما يظهر لنا من نقائص أو أخطاء مُحتملة، ولو اِضْطُرِرْنَا إلى إعادة صِيَاغَة تفكيرنا عِدّة مَرَّات. ●***سَابعًا***، نستمر في عملية المُراجعة، والتجريب، والفَحْص، والتدقيق، والتَقْوِيم،

حتى تصبح هذه الصيغة من التفكير مُرضية لمُجمل أعضاء الحزب.

الفكرة رقم 2: ضرورة مُراجعة مفهوم الحزب

■ لا يمكن خوض هذا النقاش النقدي إذا لم نغيّر ***مفهومنا للحزب.*** ■ كان عند معظمنا ***مفهوم خاطئ نسبيًّا للحزب.*** كنا ***نقدّس*** حزبنا، ونعتبره ***هدفا*** في حدّ ذاته. ■ كنا نمارس تَحَزُّبَنَا بـ «***عَصَبِيَة***» قَبلية: أساسها «أُنْصُر أخاك ظَالمًا أم مظلومًا». ■ وكُنَّا نُعظِّم حزبنا إلى درجة أننا أصبحنا عاجزين على رؤية نقائِصِه. ■ ونَسِينَا أنه يمكن لأي حزب أن يتقدّم إلى الأمام، كما يمكنه أن يتأخّر إلى الوراء. ■ نتيجة ذلك المفهوم الضَيِّق للحزب، هي أننا ***لا نقبل نقدَ حزبنا*** من طرف الغير، وفي نفس الوقت، لَا نجرؤُ على نقد حزبنا. ولو كانت أخطائنا واضحة، أو مُزمنة. ■ هذا المفهوم للحزب مُضِرٌّ، لأنه يُعمي الرُّؤْيَة. يجب إدخال "***النسبية***" على مفهوم "الحزب". وهذه "النسبية" لا تعني، ولا تبرّر، الاستخفاف بالحزب. ■ الحزب هو تنظيم طَوْعِي، هو مجرّد ***أداة،*** أو ***وسيلة،*** لتحقيق برنامج جماعي، يهدف إلى تغيير المُجتمع، في اتجاه مُحدّد، أو مَرْجُو. ■ ***أعضاء الحزب هم صُنّاع الخط السياسي*** للحزب، وصنّاع ممارسته. إذن: أفكار الحزب، وممارساته، وأساليبه، كلها ***قابلة للخطأ وللصّواب.*** ■ يستوجب هذا المفهوم الالتزام ***بالمَهَام*** التالية داخل الحزب: ضرورة ***التواضع*** (أي رفض الغُرور، أو التقديس). + ضرورة ***إعمال العقل*** (أي رفض التقليد، أو النقل). + القيام ***بالتَقْييم المُتواصل*** للتجارب (أي رفض الخُنوع، أو الاستكانة، أو الرِّضَى عن النفس). + ضمان ***حرية التعبير*** (وليس قمع آراء الأقليات

الناقدة). + ضمان ***حرية النقد*** (أي رفض المَدح، أو المُجاملة، والسماح بِتَدَاوُل النقد، حتّى ولو كان جذريّا). + ممارسة ***المُراقبة المُتبادلة*** فيما بين أعضاء الحزب (أي رفض الثقة العمياء، أو الاتِكَالية). + ممارسة ***المُحاسبة المتبادلة*** فيما بين أعضاء الحزب (أي ربط المسؤولية بالمحاسبة). + ***ضرورة التَقْييم والتَقْويم والتَثْوير بشكل مُتَوَاصِل.*** ■ معنى ما سبق هو أنه: يجب أن نَخُوض ***ثورة ثقافية مُتواصلة*** داخل الحزب. **وبدون هذا المفهوم للحزب يستحيل تَقْوِيَة أحزاب اليسار.**

الفكرة رقم3: أهمية تشخيص واقع اليسار

■ من الضّروري وضع ***تشخيص*** لواقع الحزب، ولواقع اليسار. ■ يجب مناقشة ***تشخيص*** المشاكل الحالية لليسار. هل قوى اليسار بالمغرب بخير، هل هي ضعيفة، أم متخلّفة؟ ***نتائج*** هذا التشخيص عُظمى. ■ تشخيص مشاكل اليسار له تاريخ. ***قبل "حركة 20 فبراير"*** (ح20ف) في سنة 2011، كان المناضلون يعتبرون أوضاع حزبهم، وأوضاع اليسار، «عاديّة»، أو «مُريحة». لم يكن أيّ مناضل يعترف علنيّةً بِ «ضعف» أو «تخلّف» قوى اليسار. ■ ***بعد*** "ح20ف"، تغيّر كلّ شيء. كنتُ من بين الأوائل الذين نبّهوا إلى أن قِوَى اليسار هي في حالة «ضُعف». حيث في شهر يونيو 2012، نشرتُ (على الأنترنيت) كتاب ***"نقد أحزاب اليسار"***. وفي يونيو 2014، نَشَرْتُ مقالًا مُطوّلًا يحمل عنوان: ***"السِرُّ في ضُعف 'حركة 20 فبراير' هو ضُعف أحزاب اليسار"***! كانت مشاركة اليسار في 'ح20ف' مُتواضعة، وضعيفة. وبقيّت مُشاركة قِوى اليسار، في كل «النضالات الجماهيرية المُشتركة»،

أقل مِمّا كان مُمكنًا، وَأقلّ مِمَّا كان وَاجبًا. ■ ثم جاء "حِرَاك منطقة الرِّيف"، ثم "حراك جْرَادَة"، ثم "حراك زَاكُورة"، وغيرهم، لِيُؤَكِّدوا نفس التَشْخِيص. ■ تُوجد ***نظرية «الشروط الموضوعية»***، ***و«الشروط الذاتية»***. وفي حالة هذه النضالات الجماهيرية المُشتركة، وَرغم «نضج شروط موضوعية» مُساعدة (أي وُجُود 'ح20ف')، لم يكن اليسار في مستوى طُموحاته. أي أنه لم يستطع تحويل 'ح20ف' إلى حركة مُجتمعية فاعلة وثورية. بل النظام السياسي هو الذي فرض ***إخماد*** "ح20ف"، ضدّ إرادة اليسار. ■ لم يكن اليسار مُهَيَّأً للقدرة على تَثْوِير "ح20ف". ■ الشيء الذي أَكَّدَ «ضعفَ» اليسار. ■ وبعد 'ح20ف'، تزايد عدد المناضلين المُقتنعين بأطروحة «ضُعف» قوى اليسار. ■ هذا الاعتراف بِتشخيص «ضعف»، أو «تخلّف»، قوى اليسار، يُوجِبُ إِحْدَاث تغيير جذري في مهام قوى اليسار، وفي برامجها. ■ كما يَستدعي خوض «***ثورة ثقافية متواصلة***» في أحزاب اليسار. ■ هذا ***التشخيص يُوجِبُ إنجاز مهام التَقْيِيم، والنقد، والتَقْوِيم، والتَثْوِير***. وإذا مَا وُجِدت قيادة في حزب يساري مُعيّن ترفض إنجاز مهام التَقْيِيم والنقد والتَقْوِيم والتثوير، فستُطرح مهمّة استبدال هذه القيادة المُحافظة.

الفكرة رقم 4 : الخلاف حول تفسير ضُعف اليسار

■ ***لا يكفي*** أن نعترف اليوم بـ «ضُعف» قوى اليسار بالمغرب! بل يجب أيضا أن نُدَقِّقَ تَأويلنَا لِ ***«ضعف» اليسار***. فَمَا هو المعنى الذي نُعطيه لِعِبَارة «ضُعف» قِوَى اليسار؟ ■ تُوجد ***أطروحتان:*** أطروحة ***أولى***، شائعة لكنها سطحية، تُفسّر «ضعف»

اليسار في المغرب بكونه «***مُتشرذمًا***»، وبكونه «***مُشَتَّتًا***» في عدد كبير من الأحزاب، وبكون ***أعداد*** أعضاءه وأنصاره «***قليلين***». ويظنّ أصحاب هذه الأطروحة الأولى أن «السبب في ضعف اليسار يَكْمُنُ في قلّة أعداد أعضاءه أو أنصاره»، بِمَعْنَى أن سبب «ضُعف» اليسار هو فقط «ضُعف في الكَمِّ». وبالتّالي، سَتَتَحَقّقُ مُعالجة مشاكل اليسار عبر «الاستقطاب»، و«التنظيم»، و«التجميع»، و«التَوْحِيد». ونجد هذه الأطروحة عند مُعظم قِيَادَات وقَوَاعِد قِوى اليسار. ■ هذه ***الأطروحة*** خاطئة. لماذا؟ لأن منطقها مَقْلُوب على رأسه. ولأنها تُفسّر «ضُعف» قِوى اليسار بِـ «قِلَّة» أعداد أعضاءه. بينما الحقيقة هي أن «قِلَّة» أعداد أعضاء قوى اليسار هي نتيجة، وليست سَبَبًا. ***والأُطْرُوحَة الثانية*** (وهي أطروحتي) تعتبر أن «الضُّعف» الهام في اليسار لَا يُوجد في «كَمِّهِ»، وإنّمَا يُوجد في «كَيْفِهِ». لأن ***قلّة أعداد الأعضاء ليست هي السبب، وإنما هي نتيجة لضعف كَيْفِي في الخُطوط السياسية، وفي تكوين أعضاء هذه الأحزاب، وفي نَوْعِيَة مُمَارَستهم. وضُعف اليسار بالمغرب لَا يَنْتُجُ عَن ضُعفه الكَمِّي، وإنما يَنْتُجُ أساسًا عن ضُعفه الكَيْفِي***[1]. ■ لِنَتَسَاءَل: هل ***قِلَّة عدد*** أعضاء حزب محدّد هي حُجة على ضعفه أو تخلّفه؟ لَا، ليس بالضرورة. ولماذا؟ لأن عدد الأعضاء هو مُعْطَى ***مُؤقّت، ومُتطوّر، وهو نفسه نتيجة لأشياء أخرى مُتعدّدة*** (منها مثلًا: نوعية الخط السياسي، والجاذبية السياسية، والدعاية، والفعالية، والاستقطاب، والمُبادرات، والأنشطة، والنضالات الجماهيرية، والأساليب، الخ). ■ وأُذَكِّرُ هنا أن المناضلين الثوريين أو ***الطليعيّين***، هم دائما أقلية في

[1] La faiblesse de la gauche marocaine ne réside pas seulement dans la faiblesse de sa quantité, mais elle réside essentiellement dans l'insuffisance de sa qualité.

المُجتمع. لكن أَقَلِّيَتَهم لا تمنعهم من أن يُـؤَثِّرُوا بشكل فعّال في المجتمع (بشرط أن يكونوا ثوريّين حقًّا). ■ وما هو المِقياس السليم لِقِيَّاس قُوة أو ضُعف اليسار؟ هل مِقْيَاس قُوّة الحزب يكْمُنُ في كثرة ***أعداد*** أنصاره؟ لَا! ■ [مثلًا حزب "العدل والإحسان" (الإسلامي) له أنصار كُثُر. وربما هو أضخم حزب في المغرب. لكنه حزب ضعيف. ولماذا؟ لأن خطّه السياسي يميني ومنحرف. ولأن آفاقه المُستقبلية محدودة، بل مُغلقة. فإمّا أن يتطوّر هذا الحزب، وإمّا أن يتجاوزه التاريخ. والأحزاب الإسلامية (مثل "حزب العدل والإحسان"، و"حزب العدالة والتنمية"، الخ) هُم على العُموم نُمُرٌ من ابْلَاسْتِيك]. ■ يمكن أن نبحث كثيرًا عن السبب الأساسي، المُنتج للقوّة، والفعالية، والنجاح. لكن في آخر البُحُوث، سَنَكتشف أن ***الأساس الحاسم (المُنتج للقوّة، وللفعالية، وللنجاح) هو: العُلُوم، والبُحوث العلمية، وجودة المعارف، ومناهج التفكير الثورية، ومناهج العَمَل، والمَنْطِق العَقلاني، ومناهج النضال الجماهيري***. والمَنَاهجُ نَوعان: مَناهج يمينية أو برجوازية، ومناهج ثورية. وحينما أتكلّم في هذا النص عن «المَناهج» بدون تدقيق، أقصد المناهج الثورية. ■ وبما أن موضوعنا هو العمل السياسي الثوري، (أي تغيير وتثوير المُجتمع نحو التحرّر، ونحو الاشتراكية، ونحو الشيوعية)، فإن ***عُلوم المجتمع***، وخاصّة منها ***الاقتصاد السياسي، والنظرية الماركسية***، وفنون الثورة، هي كلها علوم حاسمة في مجالات بناء الحزب، وتقوية اليسار، وتهييئ الثورة المُجتمعية وإنجاحها. ■ إذن، ما هي العناصر التي تُساهم في ***إنتاج فَعَالية وقوّة*** حزب يساري محدّد؟ هذه العناصر كثيرة ومتفاوتة. لكن ***العُنصر الحاسم من بينها جميعاً، هو أساساً: سَدَاد مَنَاهِج تفكير أعضاء هذا الحزب، وصحّة مناهج سُلُوكِيَّاتِهم***.

وهذه المَنَاهج الثورية السَديدة في التفكير والممارسة، لَا تـنزل من السماء، ولا تُشترى في السوق العالمية، ولا تُكْتَسَبُ عفويًّا، وإنما تُكتسب بالتعلّم، وبالكَدّ، والتكوين، والدقَّة، والدّرس، والبُحوث العلمية، والمُبَادَرة، والاجتهاد، والجُرْأَة على خَوْض النضال الثوري، واسْتِيعَاب التجارب الثورية، إلى آخره. => ■ الاِسْتِنْتَاج 1: ***• ضعف" قوى اليسار بالمغرب، نَتَجَ عن ضعف في مناهج تفكيره، وأساليبه، وممارساته***. ■ الاستنتاج 2:ـ ***علاج ضعف قوى اليسار يَكْمُنُ إذن في تَقْوِيم وتَثْوِير مَنَاهِج التَفْكِير***. ■ قد يقول لي البعض (الذين يَسترشدون بالأدب الماركسي)، أن الحاسم في قوّة الحزب اليساري، وفي فعاليته، وفي نجاحه، هو «تحليله لطبقات المجتمع»، أو هو «تركيزه على العمال والفلاحين»، أو هو «تحالفاته الطبقية»، أو «نوعية استراتيجيته»، أو «نوعية تكتيكاته»، الخ. لكنني أعتبر أن هذه العناصر المذكورة ليست هي التي تُنتج المناهج السَديدَة في التفكير والممارسة. بل هي نتائج، وليست أسبابًا. وسَدَاد مناهج التفكير والممارسة، هي التي تُنتج تلك العناصر المذكورة أعلاه، وليس العكس.

■ إذا كان الحزب اليساري يحمل ***أفكارا صحيحة***، فإن هذه الأفكار الصحيحة ستتحوّل، إن آجلًا أم عاجلًا، إلى قوّة مُجتمعية. وإذا لم تتحوّل هذه الأفكار إلى قوّة مجتمعية، ولو بعد مرور 10 أو 20 سنة، فمعنى ذلك هو أن هذه الأفكار ليست صحيحة بما فيه الكفاية. (وهذا هو بالضّبط ما حدث لليسار بالمغرب).

■ من بين المناضلين الذين كانوا يعتبرون أن «ضعف» حزبهم يَكْمُنُ في «قلّة عدد أنصاره» نوعان: ■ بعض القياديّين في "حزب النهج" برّروا أَطروحة تَعاونهم مع "حزب العدل والإحسان" (الإسلامي الأصولي) بكثرة أنصار هذا الأخير، وبمعارضته للنظام

السياسي، وباحتمال حدوث انتفاضات في المستقبل. ■ وبعض القياديّين في "حزب الاشتراكي الموحّد" برّروا، هم أيضًا، أطروحة تعاون حزبهم مع "حزب الاتحاد الاشتراكي" بِكِبَر أعداد أنصار هذا الأخير، وبخبرته في الانتخابات البرلمانية والمحلّية. ■ هاتان ***الأطروحتان*** متشابهتان، وخاطئتان معًا. لماذا؟ لأن معالجة مشكل الضُّعف العددي لحزب يساري مُحدّد، لَا تُوجد في تَقَرُّبه، أو تَعَاوُنِه، أو تَحَالفه، مع حزب يميني، يُفْتَرَضُ فيه أنه يتوفّر على قَاعِدة «حَاشِدَة»، أو «ضَخمة»، أو «جماهيرية». ولأن التعاون مع هذه الأحزاب اليمينية، لا يقدر على مُعالجة مشاكل اليسار. ولأن ضُعف اليسار لا يكْمُن أَصْلًا في «ضعفه ***العَددي***»، وإنما يكمن في «ضعفه ***الكَيْفِي***». أي في ضُعف ***مناهجه*** في التفكير، وفي الممارسة. أي أن ***ضعف قِوى اليسار يكمن في ضعف تَكْوِين أعضاء قوى اليسار***.

الفكرة رقم 5: الخلاف حول كَيفِية مُعالجة ضُعف اليسار

■ تُوجد ***أطروحة*** تُفَسِّرُ ضُعفَ قوى اليسار بِـ «تَشَرْذُمِهَا»، أو بِـ «قِلّة ***أعداد أعضائها***». وتدفع هذه الأطروحة معظم المناضلين إلى اعتبار أن مشكل اليسار بالمغرب هو مشكل كَمِّي، و***تنظيمي*** مَحْض[2]: فَرَكَّزُوا على هدف «تجميع» و«***توحيد***» أكثر ما يمكن من قوى اليسار في إطار «تحالف»، أو «جبهة»، أو «فيديرالية»، أو

[2] مثلًا في مقال نشره مؤخّرًا عبد الله الحريف (مسؤول في قيادة "حزب النهج")، في 26 فبراير 2020، على موقع "الحوار المتمدّن"، تحت عنوان: "واقع اليسار بالمغرب": قال فيه: «أهم سمات اليسار اليوم هي: الضعف الكمي لتنظيماته المختلفة».

«حـزب واحـد». ■ ***وإذا كـان "التوحيـد"، أو "التحَـالُف"، أو "التعَاوُن"، أو "التكَامُل"، مطلوبين فعلًا، ومرغوب فيهم، فـإن هـذا "التوحِيـد" لَا ينجح في جميـع الحالات، ولا يكفي وحـده لمُعالجة كـل مشاكل اليسار***. بمعنى أن معالجة ضُعف قِوَى اليسار، لا يُمكن أن تتمّ فقـط عـبر «الانـدماج التنظيمي» التَـامّ، أو عـبر «التَوْحِيـد في حِزب وَاحد مُوَحَّد»، أو عبر «التعاون» في إطار «تحالف». ■ وإنما تتطلّب مُعالجة مشاكل اليسار أيضًا أشياء أُخرى ***مُكَمِّلَة***. وما هي هـذه الأشـياء؟ منهـا مثلًا ***الانخراط في دِينَامِيَة التشَـاوُر، والتنسـيق، والتعَـاوُن، بِهَـدَف المُـسَاهمة في أكـثر مَـا يُمكن من "النضالات الجماهيرية المُشتـركـة"***. ولَا نـقبل من قـوى اليسار أن تُـبرّر عـدم مُشـاركتها في هـذه «النضـالات الجماهيريـة المُشتركة» بكون هذه النضالات ناتجة عن مُبادرة فَاعِلين غير أعضاء في أحزاب اليسار. أو بكَون هذه النضالات الجماهيرية المُشـتركة «عَفْوِيَة»، أو «مُبْهَمَة»، أو «غـير مُنظّمة»، أو «بـدُون قِيَادة»، أو «بدون مطالب مُوحّدة» (مثلما كان الأمر في أمثلة: «حَركـة 20 فـبراير»، وفي «حِـرَاك منطقـة الرِّيـفْ»، وفي «حِـرَاك جْـرَادَا»، وفي «حِـرَاك زَكُـورَا»، إلى آخـره). ■ ولمـاذا هـذا التَشْـدِيد على ***أهمية*** المشـاركة في خـوض «النضـالات الجماهيريـة المُشتركة»؟ ***لأن الوِعَاء المُـجتمعي الذي يُوفِّرُ إمكانية التفَاعُل، والتثْوِير، والتوْحِيد، هو خُصوصاً دِينَامِيَة "النضالات الجماهيرية المُشتركة". أمّا مُحاولة التوحيد، دُون خوض "النضالات الجماهيرية المُشتركة"، فمن المُستحيل أن تنجح***. ■ ونريد من كلّ قُوّة يسارية، ومن كل مناضل يساري، أن يُشارك، ***بِتَوَاضُع، وبِفَعَالية***، إلى جانب مُجمل قِوى اليسار الأخرى، في أكثر ما يمكن من هذه

«النضالات الجماهيرية المشتركة»، دون أن يحاول استغلالها، أو الانفراد بها، أو السَّيْطَرة عليها، أو تَمَلُّكَها، أو احتكارها. ■ كما أن ***محاولة تَجْمِيع، أو إدْمَاج، أو تَوْحِيد، قوى اليسار، بدون إخضاعها لِعَمَلِيَةِ التَقْيِيم والتَقْوِيم والتَثْوِير، ستبقى صعبة جداً، أو مستحيلة***. ولتوفير حظوظ أكبر لِإِنْجَاح محاولات التَعَاوُن أو التَكَامل أو التَوْحِيد، يجب ***أن يَقْتَرِنَ*** تهيئ هذا التوحيد مع عملية ***التَقْيِيم، والتَقْوِيم، والتَثْوِير***.

الفكرة 6: الخلاف حول التعامل مع النضالات الجماهيرية

ما يطلبه جمهور المناضلين من قوى اليسار، ليس بالضرورة هو «***التَوَحُّد***» في حزب واحد، وإنما هو خُصُوصًا مشاركة كلّ قِوَى اليسار، بشكل مَلْمُوس، ومُكَثَّف، وفَعَّال، في خَوض، وإنجاح «***النضالات الجماهيرية المشتركة***»، الجارية على أرض الواقع (مثل "حركة 20 فبراير"، و"حِرَاك منطقة الرّيف"، و"حِرَاك جْرَادَا"، إلى آخره). ولَا نقبل من أيّة قُوَّة من بين قِوَى اليسار أن تَتَخَلَّى عن المشاركة في خوض هذه «النضالات الجماهيرية المُشتركة»، وذلك بِدَعْوَى أن هذه «النضالات الجماهيرية المُشتركة» هي «من مُبادرة فَاعِلِين غير أعضاء في أحزاب اليسار»، أو أن هذه «النضالات الجماهيرية المُشتركة» هي «عَفْوِيَة»، أو «مُبْهَمَة»، أو «غير مُنظّمة»، أو «بِدُون قِيَادة»، أو «بدون مطالب مُوحّدة» (مثلما كان يُقَال عَن «حركة 20 فبراير»، أو عن «حِرَاك منطقة الرِّيفْ»، أو عن «حِرَاك جْرَادَة»، أو «حِرَاك زَاكُورَا»، إلى آخره).

وحتّى إذا كـانت بعض «النضـالات الجماهيريـة المشـتركة» لَا تُرضينا، بسبب وجـود خطأ أو نَـقص مُعيّن فيها، سيكون الحلّ، ليس هـو تجاهلها، أو الابتعـاد عنها، وإنما الحلّ هـو المشاركة فيها، بهدف تَأْطِيرها، وتَقْوِيمِهَا، وتَثْوِيرِهَا.

■ ومن أين تـأتي «***النضـالات الجماهيرية***»، أو «الحِرَاكَـات الشعبية»، أو «الانتفاضات الجماهيريـة»؟ هـل تـنزل من السّماء؟ هل تبرز بشكل عَفْوِيّ؟ هـل تظهـر بشكل عَرَضِيّ، أو بالصُّدْفَة؟ هـــل تنتج عن المُـــؤَامرات؟ كَلَّا ! إنهـــا تَنْتُج عن صَـــيْرُورَات مُجتمعية، وعن تَرَاكُمَات من النضالات الصغيرة، وأبرزها مـا يلي: 1ـ الدعَاية السياسية الثورية؛ 2ـ كَشْف الفضائح السياسـية؛ 3ـ تَعْبِئَة الجَمـاهير لاسـتنكار الفضـائح السياسـية؛ 4ـ التحـريض السياسي الثوري؛ 5ـ حَثُّ الجمـاهير على الـدفاع عن مصالحها الطبقية. 6ـ تشجيع الجماهير على تغيير المُجتمع، وعلى الطُمُوح إلى التحرّر والاشتراكية.

■ لمـاذا انخـراط مُجمـل قـوى اليسـار في «***النضـالات الجماهيريـة المُشـتركة***» هـو ضـروري، ومهمٌ جِـدًّا، في مجـال مُعالجة ضُعف اليسـار؟ ■ لأن ***محاولة إنجاز " توحيد" قـوى اليسـار بدُون خوضـها " النضـالات الجماهيريـة المُشـتركة"، يُبـرِزُ الخلافـات، ويُعَمِّقُهَا، ويُـقَوِّيها***. [بينمـا الانخـراط الجمـاعي والفَعَّال في خـوض «النضـالات الجماهيريـة المُشـتركة»، يُـبرز العناصـر المُشـتركة، ويُـقَوِّيهَا، ويُزِيـل «الأفكـار المُسـبقة» (préjugés) الـتي يحملهـا مُختلف الفُرقـاء المناضـلين عن بعضـهم بعضًا]. ■ ولأن ***مُشاركة أكثر ما يمكن من بين قوى اليسار في خوض " النضالات الجماهيريـة المُشتركة"، هـي الـتي تُـوَفِّرُ فُـرَص تَـقَارُب هـذه القـوى، وتعَاوُنهـا، وتفَاعُلهـا، وتَـغييرها، وتَـقْوِيمِهَا، وتَثْوِيرهـا***. ■ ولأن «النضـالات

الجماهيرية المُشتركة» هي سَيرُورة تُسَهِّلُ التفَاعُل الثوري فيما بين الفُرَقَاء، وتُسَهِّلُ رَفْعَ مُسْتَوَى كل الفاعلين المشاركين فيها.
■ وَيَلْزَمُ قِوى اليسار أَن تَهْتَمَّ حتى بِـ «النضالات الجماهيرية المُشتركة» التي تنطلق **من خارج** أحزاب اليسار (مثل «حركة 20 فبراير»، أو «حِرَاك منطقة الرِّيفْ»، أو «حِرَاك جَرَادَة»، أو «حِراك زَاكُورَة»، إلى آخره).

الفكرة رقم 7: الخلاف حول مُمارسة النقد

■ تقول لنا قِيَادات أحزاب وتنظيمات اليسار (بالمغرب) أنه تُوجد ***خِلَافات نظرية وسياسية*** فيما بينها. وأن هذه الخلافات هي التي تمنع التعاون فيما بين قِوى اليسار، وتَعُوق خَوض النضالات المُشتركة. ■ لكن قيادات اليسار تَتَلَافَى عادةً تَوضيح ما هي بالضَّبْط هذه الخلافات؟ ومعظم مناضلي اليسار لا يعرفون بِدِقّة تَفاصيل الخلافات الموجودة فيما بين قِيَادَات قِوَى اليسار.
■ ولا تُمارس تنظيمات اليسار الصراع النظري والسياسي فيما بينها، وكذلك تُجَاهَ خُصومها السياسيين. ولا تنشر قوى اليسار دراسات تُحَلِّلُ بِعُمْق كَاف بعض الجوانب الغامضة في خَطِّهَا السياسي. ويَتَلَافَى عادةً قِيَادِيُّو أحزاب اليسار مُمارسة ***النقد البنّاء*** حول خلافاتهم السياسية البَيْنِيَة. ولماذا؟ ربّما لأنهم قد يظنّون أن «النقد يُمَارَسُ فقط ضدّ الأعداء، وليس ضدّ الشُّرَكَاء، والفُرَقَاء». أو لأنهم يخافون من أن يَنْتَقِمَ منهم الأشخاص المُنْتَقَدُون. أو لأنهم يخشون من رُدُود الأفعال الخَشِنَة، أو الهَجِينَة، التي يُحتمل أن يُثِيرَهَا النقدُ لدى المُنْتَقَدِين. أو رُبّما لأنهم يُريدون تَلَافِيَ استغلال هذا النقد من طرف الأعداء.
■ بينما وجود ***خلافات*** سياسية (فيما بين قيادات قوى اليسار)

يستوجب بالضرورة ***تبادل النقد البنّاء***، بهدف البحث الجماعي عن الحقيقة الثورية، وفَرْز الرأي الثوري الصَّائِب، وإقناع مُجمل الفُرَقَاء بِمُمَارسته.

■ والمُشكل هو أن مُعظم مناضلي اليسار (قيادات وقواعد) لا يعرفون جيّداً ***كيف يُمارسون «النقد»*** البنّاء. وإذا حاولوا مُمارسة «النقد»، يتحوّل «نقدهم» بسرعة إلى اِتِّهَام، أو سَبّ، أو تَجْرِيح، أو إهانة، أو تَخْوِين، أو عَدَاء. ***فيتحوّل هذا "النقد" السيء من البحث عن الحقيقة الثورية إلى خِصَام بين أشخاص، ثم إلى فِراق، ثم قطيعة***. ■ وقبل أن نُشَجِّعَ المناضلين على ممارسة حُرّية التعبير والنقد، يجب أوّلًا أن نُعَلِّمَهُم ***منهجَ النقد السَّليم***. وهذا النقد السّليم هو الذي يُحاول احترام الشخص المُنْتَقَد، ويركز على التحليل المَوضوعي للمُعطيات، وَيَنْتَقِدُ على الخُصوص الأفكار، والمُمَارَسَات، ولا يَسْتَهْدِفُ الأشخاص كأشخاص. [مثلًا: أنا الآن أنتقد قيادات وقواعد اليسار، لكنني أنتقد أفكارهم وسُلُوكِيَّاتهم، وَبِاحترام، ولَا أَنْتَقِدُ أشخاصهم كَأَشْخَاص].

■ لكن، هل يجب دائمًا ***أن ننتقد الأفكار، وأن نَمتنع كلّيًا عن نقد الأشخاص؟*** كثيرون يطرحون ضرورة «الاقتصار على نقد الأفكار وحدها، والامتناع التّام عن ذكر أسماء الأشخاص المُنْتَقَدين». وفي الواقع، ولو أن نقد الأفكار يبقى هو الأساسي (مثلًا 85 % من النقد)، يجب أيضًا، في بعض الظروف، أن نَنْتَقِدَ أشخاصًا بِعَيْنِهِم، لأنهم مُنحرفون (مثلًا 15 % من النقد).

■ والمنهج السّليم في النقد، لَا يعني، ولَا يُبرّر، ***الامتناع الكُلِّي عن نقد الأشخاص*** (كَأشخاص مسؤولين عن أطروحات، أو عن سُلُوكِيَّات سياسية). لماذا؟ لأنه لا يمكن تَقْوِيم المُمارسة، سواءً

في الحزب، أم في الحركات النضالية الجماهيرية، إذا امْتَنَعْنَا كُلّيًا عن نقد الأشخاص. ولأنه يُوجد أشخاص يَدْعُون إلى أطروحات سياسية منحرفة. ولأنه تُوجد نسبة من الأشخاص تَتَّسِمُ بالجهل، أو اللَّامَبْدَئِيَة، أو الوُصُولية، أو الانتهازية، أو الزعامية، أو تَتَهَاوَن في تَعاملها مع الجواسِيس، أو مع الأعداء السياسيّين. ولأن نِسْبَةً مُتَجَدِّدَةً من الأشخاص تَدَّعِي الدِّفاع عن مصالح الشعب، لكنها تُحاول تَحْوِيل كلّ شيء لخدمة مصالحها الشخصية الخاصّة. ولَا مفرّ من نقدها كأشخاص (باعتبارها مسؤولة عن أطروحات، أو عن سُلُوكِيَّات سياسية، مُضِرَّة بِنضال الجماهير الكادحة).

الفكرة رقم 8: ضرورة الخَلاص من سُوء التَفَاهُمَات

■ لا تُوجد فقط ***خِلَافات*** في الاختيارات الاستراتيجية والتكتيكية، **أو *تَنَاقُضَات*** سياسية، فيما بين ***قِيَادات*** أحزاب اليسار، وإنما تُوجد أيضًا فيما بينها ***سُوءُ تَفَاهُمَات*** (incompréhensions mutuelles)، مُتَعَدِّدة ومُزْمِنَة. وغالبًا ما تكون أسباب "سوء التفاهمات" هي «الأفكار المُسْبَقَة» (préjugés) التي تحملها قِوى اليسار عن بعضها البعض. ■ وَوُجُود خلافات سياسية، أو نظرية، أو تكتيكية، فيما بين قوى اليسار، هو أمر مَوْضُوعي، وشَائِع، ولا يُبرّر المُخاصمة، أو القَطِيعَة. ومن المُستبعد أن يُوجد شُرَكَاء مُجتمعيّين مُتّفقين على كلّ شيء. ■ ***والحَلُّ*** العَمَلِي لِتَقْلِيص هذه الخِلافات، والتناقضات، وسوء التفاهمات، ليس هو النَمِيمَة، وليس هو التَشْهِير السِّلبي الذي يُحاول إفْسَاد سُمْعَة المُخالفين، وليس هو تَرْوِيج "اكْلِيشِيهَات" (clichés) مُهِينَة، ولا هو التَشَبُّث بِأحكام مُطلقة، ولَا هو التمركز حول الذَّات، الخ، وإنما ***الحَلّ*** يستلزم التَحَلِّي ***بالتواضع***؛ والإنْفِتَاح على انتقادات

الغـير؛ والاهتمـام بـالآراء المُخالفـة لِمواقفنـا؛ وتنظيم ***لِقـاءات مُباشرة، وحوارات*** (شفوية، وكتابية، حول هـذه الخلافـات)، فيما بين قِيَـاديِّي اليسـار؛ والجُـرْأَة على مُمارسـة ***النـقد المكتـوب،*** والمسـؤول، والبَنّـاء؛ والحِـرْص على ***نـقد الأفكـار وليس الأشخاص؛*** والتَحَرُّر من «***الأفكار المُسْبَقَة***» (préjugés) الـتي قـد تَحملهـا قـوى اليسـار عن بعضـها البعض؛ وخَـوض ***الصِّـرَاع السياسـي النظـري،*** المكْتُـوب، والعَلَنِي، بِأُسْـلُوب بَنَّاء، ومُقْنِـع. ويجب أن يكـون هـدف هـذا الصِّـراع السياسـي، ليس هـو عـزل المُخـالفين، أو تحطيم المُنَافِسِين، وإنمـا هـو ***مُنَاصَـرَة الحَقيقـة الثوريـة، وتَـقْويم الأشـخاص المُخْطِئين.*** وَوَاجب ***الاحـترام المُتَبَـادَل،*** لَا يَمْنَعُ النـقد، ولا يَنْـفِي الصَّرَاحة، ولا يُلْغِي الصَّرامة العِلْمِيَة، ولا يُبرّر المُهادنة إلى حدّ النِّـفَاق. وزيّـادة على مَـا سبق، يجب خَـوْض «النضـالات الجماهيريـة المُشـتركة»، والتَـفَاعُل بين الفُرَقَاء داخل هذه «النضالات الجماهيريـة المُشـتركة»، باعتبارها وعَاءَ التَـفَاعُل وَالتَثْوِير المُتَبَـادَلَيْن. ■ كمـا يَتَوَجَّبُ على قيّـادات أَحزاب اليسـار ***بَلْـوَرَة علاقـات مُتنوِّعـة، وسَـهْلَة، ومَرِنَـة،*** تَسْمَحُ بِوُجُـود تَنْسِـيق مُتَوَاصِـل، وبِتَعَـاوُن صَـادق، وبِمُشـاركة جماعيـة، ومُسَاهَمة فَعَّالـة، في خَـوْض، وَتَـأْطِير، وإِنْجَـاح، أكـثر مـا يُمكن من «النضـالات الجماهيريـة المُشـتركة»، الجاريـة في المُجتمـع. ■ ويجب الاِمْتِنَاع عن القيّام بـأيّ عَمـل يُحْـدِثُ ***التَبَاعُـدَ*** فيمـا بين قوى اليسار. ■ كما يجب أن تَتَخَلَّصَ كل قوى اليسار من سُـلوك «***التَجَاهُـل المُتَـبَادَل***»، و«***الاحتـقار المُتبـادل***»، الـذي كـانت تُمارسه فيمـا بينهـا. وإذا لم تَلـتزم كـل قـوى اليسـار ***بالتواضـع، والتَعَاوُن، والتكامل*** فيما بينها، فإنها ستبقى كلّها ضعيفة.

الفكرة رقم 9: ضرورة المُراجعة النَقْدِيَة الشَّامِلَة

■ تَستوجب معالجة ضُعف قوى اليسار بالضرورة الدُخُول في سَيْرُورَة ***مُراجعة شَامِلَة ونقدية، لِكُلّ مُكَوِّنَاتِ خُطُوطِهَا السياسية*** (أي المُكَوِّنَات الفكرية، والنظرية، والسياسية، والتنظيمية، والنضالية، والتواصلية، والتطبيقية، والاستراتيجية، والتكتيكية، إلى آخره). عبر سيرورة زَمانية قد تَدُوم سنوات. وتستوجب أيضًا ***التَقْويم*** (rectification) الحازم، والجذري، لكل النقائِص التي نَكْتَشِفُهَا بالتَدْرِيج، سَوَاءً كانت هذه النقائص في التصوّرات السياسية، أم في أساليب النضال، أم في نَوْعِيَةِ النضالات التي نَخُوضُهَا. وبدون هذه المُراجعة النقدية الشَّاملة، يستحيل تَقْوِيَة اليسار.

الفكرة رقم 10: التنظيم ضروري، لكنه لَا يكفي

■ الأحزاب التي تنحصر استراتيجيتها في المُشاركة في الانتخابات (البرلمانية والمحلّية)، تكتفي بِانْخِرَاط أعضائها في الحزب. ولا تطلب منهم أكثر من المشاركة في إنجاح أكبر عدد ممكن من مُرَشَّحِي الحزب في هذه الانتخابات. بينما الحزب اليساري أو الثوري يطلب من أعضاءه أكثر من ذلك.. ■ و«***التنظيم***» (سواءً في حزب، أو نقابة، أو جمعية، أو حركة) هو دائمًا ضَرُوري، وأساسي. لأنه هو الذي يُحدّد حُظُوظ نجاح النضال الجماعي. ■ لكن «***التنظيم***» ***وحده لا يكفي***، ولَوْ كان مُحكمًا، ومُتْقَنًا، وصلبًا، ومركزيا، وديموقراطيا. ■ حيث يحتاج الحزب الثوري أيضًا إلى توفّر أعضاءه على جَوْدَة عالية في عناصر أخرى، منها: وُضُوح الرُّؤْيَة السياسية، والتَكْوِين السياسي الشّاسع، وجودة

التصوّرات النظرية، والقُدرة على النَقد، والقُدرة على أخذ المُبادرة الثورية، ونوعية التكتيك، وأساليب النضال، وصِنْف التحالفات، وسَدَاد الأهداف، والعزيمة القوية في الكفاح النضالي، والاستماتة في إنجاح الأهداف الثورية، إلى آخره. ■ وبدون هذه العناصر الأخرى، يصبح التنظيم مُتَرَهِّلًا، وَفَاتِرًا، وعاجزًا.

الفكرة II: الوحدة في العُقول هي أهم من الوحدة في التنظيم

■ نجد مثلًا أن أعضاء "حزب الاشتراكي الموحّد"، هم مُوحّدون في التنظيم الحزبي، لكنهم مُشَتَّتُون نِسبيًّا في عُقولهم. ***الوحدة في العقُول هي أهم من الوحدة في التنظيم***. ■ وفي ظُروف ***القمع*** السياسي، وفي إطار الحاجة إلى ***الاحتياط***، سيكون من الأفضّل أن لَا تَتوحَّد قِوى اليسار كلّها في «حزب واحد». لأنه إذا تعرّضت قيادة هذا الحزب المُوَحَّد إلى قمع استئصالي، أو إذا تَسَرَّبت عناصر بُوليسية داخل قيادة هذا الحزب المُوحّد، فَمِنْ المُمكن أن يُصبح هذا الحزب مَشْلُولًا. ■ ***ومن الأحسن أن يتكوّن حاليًّا اليسار من حزبين، أو*** على الأكثر ***ثلاثة*** أحزاب يسارية ومتنافسة، بِشرط أن تكون هذه الأحزاب ***مُتَعَاوِنَة، ومُتَكَامِلَة*** فيما بينها. ■ والعُنصر الأكثر أَهَمِّيَة، ليس هو اندماج كل قِوَى اليسار في «حزب واحد مُوَحَّد». وإنما هو ***أن يكون كُلّ مُناضلي اليسار حَرِيصِين أَشَدَّ الحِرص على وحدة اليسار، في أفكارهم، وطُمُوحَاتهم، وممارساتهم***. ■ كما أنه من المهم أن يَلتزم كل مناضلي اليسار بِالمُشاركة في مُجمل «النضالات الجماهيرية المُشتركة»، مهما كان الطرف الدّاعي إليها.

الفكرة 12: الفَرْق بَين الخَطّ السياسي المُعْلَن، والخط المُطَبَّق

■ يجب على المناضلين أن يتذكّروا دائمًا أنه يمكن أن يُوجد **فرق هام بين «الخط السياسي المُعْلَن»** (في المُؤتمرات، والوثائق، والخِطَابات، والطُمُوحَات)، **و«الخط السياسي الفِعْلِيّ» المُطَبَّق** على أرض الواقع. ■ فلا يصحّ تَقْيِيم حزب مُعَيّن على أساس خطّه السياسي المُعْلَن، وإنما على أساس خطه المُطبّق. ■ لأن الحزب لَا يكون بالضرورة منسجمًا على مُستوى تَركِيبته الطبقية. ■ ولأن الصراع الطبقي يخترق حتّى الحزب. ولأن الحزب هو نفسه ميدان للصراع الطبقي. ولَا يقدر الحزب على النجاة من تأثيرات الصراع الطبقي الجاري في المجتمع. ■ ولأن العناصر الطبقية المتواجدة داخل الحزب المعني، تُكَيِّفُ خطّه السياسي المُعلن، أو تُعِيدُ تَوْجِيهَهُ، وذلك حسب طُمُوحَات أو مصالح هذه العناصر الطبقية، أو حسب تصوّراتها الخاصّة «للأهداف المُشتركة، أو الثورية». ■ ولأن «الخط السياسي المُطَبَّق فعليًّا» هو دائمًا نتيجة مُرَكَّبَة لكلّ هذه التدخّلات الممكنة. ■ ومن الممكن أن يتحوّل الحزب الثوري أو اليساري إلى حزب انتظاري، أو إصلاحي، أو رأسمالي، أو يميني، دون أن يَعِيَ أعضاءه ذلك التحوّل. (أُنظر مثلًا نموذج «حزب الاتحاد الاشتراكي» ما بين سنتي 1975 و 1995). ■ وبدلًا من كَبْت الخلافات السياسية، أو طَمْسِهَا، داخل الحزب، سيكون من الأَفْيَد ***تَنْظِيم الصّراع*** النظري والفكري والسياسي داخل الحزب، بشكل وَاعٍ، وَعَلَنِي،

ومنظّم، وعَقلاني، وَبَنَّاء، بهدف فَرْز وَتَغْلِيب الحقائق الثورية الأكثر تقدّمًا.

الفكرة رقم 13: أهمية عِلم الماركسية الثورية

■ من أين يأتي «ضعف» قوى اليسار اليوم؟ يأتي أساسًا من كون نسبة كبيرة من قِيَّادِيِّي وأعضاء أحزاب اليسار، ***تأثّروا سَلبيًّا بانهيار الاتحاد السُّوفْيَاتِي*** (في قرابة سنة 1989)، وأصبحوا لَا يُؤْمِنُون لَا بِـ «الاشتراكية»، ولَا بِـ «الماركسية الثورية»، ولَا حتّى بِـ «الثورة المُجتمعية». وأصبح هؤلاء المناضلين تائهين فِكْرِيًّا، وبدون أيّة مَرْجِعِيَة نظرية يَسْتَرْشِدُون بها، وبدون أيّ أُفُق سياسي يطمحون إليه. وَغَدَوْا جماعات مُشَتَّتَة، وأَفْرادًا حَائِرِين، وتَائِهِين، لَا يعرفون ما يريدون، ولَا يُدركون عن أيّة أهداف يُكافحون. ولاحظنا أن ***مُجمل الأشخاص الذين تَخَلَّوْا عن دراسة الماركسية الثورية، تحوّلوا إلى رأسماليّين، أو لِيبِيرَالِيِّين، أو مُحافظين، أو يَمِينِيِّين. فلَا تُمكن مُعالجة "ضُعف" قِوى اليسار إذا لم يَتَعَلَّم من جديد كلّ مناضلي اليسار نظرية "الماركسية الثورية" بمناهج جديدة، وإذا لم تُسَدِّد قِوَى اليسار هدفها نحو "الاشتراكية الثورية"، ونحو "الشيوعية التحرّرية"***. لأن «الماركسية الثورية» هي نظرية الثورة المُجتمعية. ولأن «الماركسية» هي عِلْم المُجتمع، وهي التي تُمكِّن من فهم، وتغيير، وتثوير، المجتمع. وبدون استعمال نظرية «الماركسية الثورية»، يستحيل النجاح في تحرير الطبقات الكادحة والمُسْتَغَلّة من الاستغلال، ومن الاضطهاد.

■ من بين أهمّ دروس التجارب الثورية في العالم، أن طبقة ***البرجوازية الوَطَنِيَة عاجزة على قيّادة وإنجاح الثورة المُجتمعية***. فَمن الخطأ الاعتماد على البرجوازية الوطنية لكي تلعب دورًا رَائِدًا، أو حَاسِمًا، في تغيير وتثوير المُجتمع. ■ ومن بين شروط نجاح الثورة المُجتمعية في عصرنا، أن تكون هذه الثورة تحت قيّادة حزب ثوري، يستند على ***التحالف الطَّبَقي للعمّال والفلاحين***، ويسترشد ***بالنَظَرِيَة الماركسية الثورية***[3]. ولَن يَقْدِرَ أيّ فاعل سياسي على تغيير المُجتمع، في اِتِّجَاه ثوري وتحرّري، إذا هو اِسْتَنَدَ على طبقات أخرى غير الكَادِحِين المُسْتَغَلِّين والمُضْطَهَدِين، أو إذا هو عَمل بنظرية أخرى غير نظرية الماركسية الثورية. ■ وإذا كانت الطبقة العاملة الصِّنَاعية صغيرة الحجم في بلادنا، فهذا الوضع يرجع لكون بلادنا تُوجد ضِمْنَ بلدان العالم الثالث، الخاضعة للتَّبَعِيَة للإمبريالية. وما دامت بلادنا خاضعة للتبعية للإمبريالية، فمن الأكيد أنها ستبقى عاجزة عن تحقيق تنميتها الاقتصادية أو الصناعية. (ولو أن التَبَعِيَة للإمبريالية ليست هي العَائِق الوحيد للتنمية). وبدون تنمية اقتصادية مُستقلة وقوية، ستبقى الطبقة العاملة الصناعية بالضّرورة هَزيلة. وصِغَرُ حَجْم الطبقة العاملة في ميدان الصناعة، لَا يَتَنَافَى مع وُجود كَادِحِين مأجورين مُسْتَغَلِّين في مَجالات أُخرى، أبرزها الخَدَمَات. ■ وتحقيق الهدف الاستراتيجي، المُتَجَلِّي في إنجاح ثورة مُجتمعية ابْرُولِيتَارِيَة، مُضَادَّة للرّأسمالية، يَسْتَوْجِب وجود حزب ثوري ابْرُولِيتَارِي، تَسْتَرْشِدُ قِيَادتُه بالنظرية الماركسية الثورية. وهو مَا عَنَاهُ افْلَادِيمِير لِينِين بِمَقُولته المأثورة (في كتابه «ما العمل؟») : «لَا حركة ثورية، بدون نظرية ثورية».

---

[3] Charles Bettelheim, Les luttes de classes en URSS, 1ère période 1917-1923, Seuil .Maspero, p.99

وأضاف لِينين: «وحده حزب يَسترشد بنظرية طليعية سيقدر على القِيَّام بدور المُكَافح الطَليعي»[4]. ■ ويلزم هذا الحزب الثوري أن يخوض، في نفس الوقت، ليس صِنْفًا واحدًا من الصِّرَاع، بل (على الأقل) أربعة أصناف من الصّراع: 1) الصّراع السياسي، 2) الصِّراع الاقتصادي، 3) الصِّراع النظري، و 4) الصِّراع التنظيمي[5]. ■ وبعض قوى اليسار الحالي تَدَّعِي أنها «اشتراكية»، لكنها تُخفي تَخَلِّيَها التَّام عن «عِلم الماركسية الثورية». وبعد انتشار موجة الشَكّ الناتجة عن "انهيار الاتحاد السُّوفْيَاتِي" في سنة 1989، لم تَعُد بعض قوى اليسار تُؤْمِنُن بِـ «الاشتراكية»[6]. ■ ***وبِقدر ما تبتعد بعض قوى اليسار عن نظرية الماركسية الثورية، بِقدرِ ما تَغْدُو فَعَالِيَتُها ضَعِيفَة.*** ■ ولِمُعَالَجَة مشاكل المُجتمع، ***لا نتوفّر سوى على طَرِيقَيْن فقط: فإمّا أن نَتَّبِعَ طريق الرأسمالية، وإمّا أن نَسلُكَ طريق الاشتراكية الثورية في اتّجاه الشيوعية.*** ولَا يُوجد خِيَّار آخر. وتُبَيِّن أوضاع معظم بلدان العالم أن الرأسمالية أعطت أقصى ما يُمكن أن تُعْطِيّه. وأصبحت الرأسمالية تُنْتِج الكَوَارِث المُجتمعية أكثر مِمَّا تُنتج السِّلَع. ■ ***والمصدر الأساسي لمشاكل المُجتمع يَكْمُنُ في الرأسمالية.*** ■ والسبب في انتشار الفَرْدَانِيَة، والأَنَانِيَة، والغِشّ، والانتهازية، والانهزامية داخل الشعب، يكْمُنُ في الاِسْتِلَاب (aliénation) الناتج عن هيمنة الرأسمالية على المُجتمع. ■ وكلّ شخص يَنْفِي وُجُود الصراع

---

4 Vladimir Lénine, œuvres Tome 5, Que faire?, Editions Sociales, Paris, Editions du progrès, Moscou, 1976, p.377.

5 لِينين، كتاب "ما العمل؟".

6 أنظر: رحمان النوضة، "هل ما زالت الاشتراكية صالحة بعد انهيار الاتحاد السُّوفْيَاتِي؟"، [موجود على موقع الحوار المتمدّن، وعلى مُدوّنة الكاتب: "LivresChauds.Wordpress.Com"، وعلى موقع "nokkade.wordpress.com"].

الطبقي، أو يَتَخَلَّى عن الماركسية الثورية، أو عن الاشتراكية الثورية، سيؤدّي به اختياره هذا إلى حَبْسِ نفسه داخل سِجْن الفكر الرأسمالي المُسْتَلَب (aliéné). ■ ومن واجب مُجمل قِوَى اليسار أن تُعِيدَ الاعتبار إلى النظرية الماركسية الثورية، لكن بِدُون دُوغْمَاتِيَة (dogmatisme). ■ ومِن بين مهام قيادة الحزب الثوري، تنظيم ***تَعْلِيم عِلْم الماركسية الثورية*** لأعضاء الحزب الثوري ولأنصاره.

الفكرة 14: ضرورة الاستعداد للانتفاضات المُحتملة

■ من المُحتمل أن ***«السَّيْرُورَات الثورية»***، ومَوْجَات «الربيع الديموقراطي»، التي اِشْتَعَلَت في بعض البلدان الناطقة بالعربية، مثل تُونس، ومصر، سوريا، والسودان، والجزائر، ولبنان، والعراق (بين سنوات 2010 و 2019)، سَتَحْدُثُ مَثِيلَتُهَا في المستقبل بِالمغرب. ■ ويمكن أن تَتَطَوَّرُ هذه «النضالات الجماهيرية المشتركة» بسرعة نِسْبِيَة، من «الاحتجاج» ضدّ البِطَالَة والفساد والاستبداد، إلى رَفْع شِعَار «إسقاط النظام». ■ ومن واجب قوى اليسار بالمغرب أن تَتَهَيَّأَ لكي تكون جاهزة لمثل هذه الاحتمالات، أو "السِّينَارْيُوهَات". ولَنْ نَقْبَلَ من قوى اليسار أن تَكون مرّةً أخرى مُفاجأة، أو مُرْتَبِكَة، أو مُتَجَاوَزَة، في حالة اندلاع حِرَاك شعبي، شبيه بِـ "حركة 20 فبراير". ■ وعلى قِوى اليسار أن تُهَيِّئ ما يلزم من تَصوّرات، وبرامج، وتنظيمات، وأُطُر، وخِبرات، إلى آخره. ■ ولا يمكن للنضال المُشترك أن يكون فَعَّالًا إلّا إذا كان الحزب كلّه مُوَحَّدًا على الاختيارات الأساسية، ومنضبطًا للقرارات المركزية. ولَا بُدّ من التخلّص من أسلوب «التيارات» التي تحوّلت إلى مُبرّر لِـ «التصرّف كَحِزب داخل الحزب»، والتي

أصبحت مثل «قبائل سياسية»، عَصَبِيَة، وَوَفِيَة لِزَعِيم مُزْمِن[7].

الفكرة رقم 15: الخلاف حول الاستراتيجية

■ تَختلف أحزاب اليسار الأربعة بالمغرب حول الاستراتيجية. وينقسم اليسار في هذا المجال إلى قسمين: قسم أوّل (يُوجد فيه حِزْبَيْ "الاشتراكي المُوحّد"، و"المُؤتمر الاتحادي") يُؤمن بإمكانية تَلْطِيف الرأسمالية، ويختارُ الالتزامَ بِـ «سَقف المَلَكِية البرلمانية». ويُركّز على إمكانيات الإصلاح السياسي عبر الانتخابات البرلمانية والمحلية. ويرفض النضالات التي تَتجاوز «سقف المَلَكِية البرلمانية». وقسم ثان (فيه حِزْبَي "النهج"، و"الطليعة") يُناهض الرأسمالية، ويرفض الاقتصار على المُشاركة في الانتخابات العامّة، ويُفَضِّل أن يبقى مُنفتحًا على أكثر ما يمكن من الاحتمالات النضالية والثورية. ■ هذا الخلاف موضوعي، ويُعبّر عن تناقضات بين فِئات طبقية، وينعكس على الكثير من القضايا. ■ لكن المهم هو أنه لَا يَجُوز لهذه الخلافات حول الاستراتيجية، أن تمنع مُشاركة مُجمل قِوَى اليسار في خَوض أكثر ما يمكن من «النضالات الجماهيرية المُشتركة».

الفكرة رقم 16: أهمية تكوين الحزب لِلْكَوَادِر الكُفْئَة

■ مستوى تكوين مناضلي أحزاب اليسار ضعيف. ■ وكل حزب يساري يَفْتَقِرُ إلى أُطُر (أو كَوَادِر) ثورية كُفْئَة، سيبقى

[7] أنظر نقد أسلوب «التيارات» في كتاب "نقد أحزاب اليسار"، رحمان النوضة.

ضعيفًا. ■ ***ولا يمكن لأيّ حزب أن يتقدّم، أو أن ينمو، أو أن يتقوّى، إلّا إذا كان هذا الحزب يوفّر لأعضائه تكوينًا متنوّعًا، ومتواصلًا، بهدف تقوية قدراتهم، وتحسين فعاليّاتهم***. ■ ويحتاج الحزب الاشتراكي، أو الثوري، إلى كثير من ***الأُطُر*** الكُفْئَة، ***والكوادر*** المُتَنَوِّعَة. فمن أين سيحصل على هذه الأُطُر المُقْتَدِرَة؟ ■ إذا لم يكوّنها الحزب بنفسه، فلن يكتسبها. ■ وكل حزب لا يتوفّر على أطر كُفئة وكافية، يصبح مجرد حَشْد مَائِع، وعَاجِز، من الأشخاص العاديِّين. ■ وكيف نُكَوِّن الأطر والكوادر الكُفئة؟ لا ينجح الاعتماد على «***العفوية***» في مجال التكوين، أي الاعتماد على أن يُكوّن المناضلون أنفسهم بأنفسهم، عبر التجربة والقراءة والدراسة. لأن النظام الرأسمالي ينزع من المواطنين إمكانيات التأمّل والقراءة والدراسة. ■ إذا اِتَّكَلْنَا على ***العَفْوية*** (أي على الجُهد الذاتي للأشخاص) في تكوين أعضاء الحزب، فسنحتاج إلى انتظار مُرُور قرابة 10 أو 20 عامًا. وهو زمان طويل جدًّا. وبهذه العفوية، لن يتحوّل 80 % من أعضاء الحزب إلى أُطُر، وإنّمَا سيتحوّل إلى أُطُر فقط مَا بين 5 وَ 10 في المئة من أعضاء الحزب. وهي نسبة هزيلة. فما هو الحل البديل إذن؟ ■ الحل هو التّالي: تحتاج أحزاب اليسار إلى ***تنظيم عدّة أنواع من المدارس المُشتركة، المُتخصِّصة في تكوين الأطر*** الثورية والكُفْأَة. ■ ويُستحسن أن يُدَرِّس في هذه المداس العُلَمَاء، والخُبَرَاء، وكذلك المناضلون الثوريون الأكثر تَجربة وَخِبرةً. ■ ويجب أن تتميّز هذه المدارس بوَثِيرَة عَالية، وبفَعَالِيَة كبيرة، وبجَوْدَة كَافية، في مجال تكوين الأُطُر. ■ وماذا سنعلّم لهؤلاء الأطر الناشئة؟ المواضيع والمواد التي يجب تعليمها تَنْتُجُ عن نوعية ***استراتيجية*** الحزب المعني، و***تَكْتِيكَاته***. ■ ويحتاج تكوين الأُطُر الثورية إلى مدارس عِلمية

ومضبوطة. كما يحتاج إلى مُكَوِّنين ثوريين، ذوي تَجَارِبَ وخِبَرَات دَقيقة في مجالات النضال الثوري. ويَنْبَغِي أن يَتَضَمَّنَ هذا التكوينُ تَدْرِيسَ مَعَارِفَ مُعَمَّقَة، وخِبْرَات ثَورية مُتَجَدِّدَة، ومناهج عِلْمِيَة دَقيقة. ■ وأدنى ما يجب فِعله، هو العِنَايَة بِتَرَاكُم التَجَارِب والمَعَارِف، وقِيَّام الأجيال المُسِنَّة من المناضلين الثوريين، بِتَمْرِير مَعَارِفِهَم، وتَجَارِبَهم، وخِبْرَاتِهَم الثورية، إلى أجيال المناضلين الشَبَاب. دون أن ننسى مُهمّةَ إخضاع تلك المعارف والتجارب للتَّقْيِيم، وللنَّقد، وللتَّقْوِيم، ولِلتَّثْوِير. ■ يجب أن نُكوّن جيشًا مُتَنَاميًا من «ضُبَّاط الثورة المُجتمعية»، ومن «مُهَنْدِسِي الثورة المُجتمعية»، ومن «الفنّانين البارعين في ميدان صِنَاعَة الثورة المُجتمعية». ■ وبدون وُجُود حَدٍّ أدنى مُحدّد من المناضلين الثوريين المُحْتَرِفِين، والمُتَفَرِّغِين للعمل الثوري، لَا يمكن للثورة المُجتمعية أن تَنْضُج أو أن تنجح. ■ وبقية تفاصيل موضوع هذا «التكوين» حسّاسة، ولا يصح نقاشها بشكل علني في الساحة العُمومية.

الفكرة رقم 17: هل كل القِيَادِيِّين قادرين على التَثْوِير

هل جميع ***القياديِّين*** في قِوى اليسار الحالية ***قَابلين لِـ، وَقَادِرِين على،*** إنجاز مهام ***«التَقْيِيم وَالتَقْوِيم وَالتَثْوِير»*** المعروضة سابقًا؟ لَا، بعض القياديّين يرفضون منهج «التثوير»، أو يُقاومونه، أو يُريدون طمسه، أو تَلَافِيه. لأنه يتعارض مع استراتيجياتهم الشخصية. وعلى المناضلين الثوريين (في كل حزب أو تنظيم) أن يجدوا السُّبُلَ الملائمة لإنجاز مهام «التقييم

والتـقويم والتثـوير». وبـدون قيـادات ثوريـة، قـادرة على إنجـاز «التقييم والتقويم والتثوير»، يستحيل التقدم إلى الأمام.

الفكرة رقم 18: ضَرورة التَشَدُّد في شُروط الوُصول إلى مَواقع المَسؤولية الحِزبية

مِن بين أسـوء الانحرافـات الضـارّة في التنظيم، نجـد خطـأ السَّمَاح لِأَشخاص، مِن مُستوى مُتوسّط، أو رَدِيء، بأن يَصِـلُوا إلى مواقع المسؤولية في التنظيم السياسي. فَمُجمـل البشر يطمحـون مَوضُـوعيًّا وتِلْقَائِيًّا إلى الوُصـول إلى أعلى المسـؤوليات القِيّاديـة الممكنة، ولو أنهم يُدركون أن شروط تحمّل هذه المسؤوليات لَا تتـوفّر فيهم. وبعض الأعضـاء في التنظيم السياسـي، يمارسـون "الحَلَقِيَة" (sectarisme)، أو "الزَّبُونِيَـة" (clientélisme)، أو "العَصَبِيَة" (esprit de clan)، أو "اللَّامُبَالَاة" (je-m'en-foutisme)، ويريدون أن يشارك في تحمّل المسؤوليات القيادية مَن هُم مِن أصـدقاءهم، أو حُلفـاءهم، أو أنصـارهم، أو المقـرّبين مِنهم، ولـو لم يكونـوا في المسـتوى الضـروري، أو المطلـوب. ***فلا يُقبل أن نسمح لأشخاص مُحَـدَّدِين بالوصـول إلى تحمّـل مسـؤوليات قياديـة في التنظيم السياسـي، إلّا إذا كـان هـؤلاء الأشـخاص هم حقاً مِن بين أقـوى المناضـلين ثوريةً، وأحسـنهم صَـلَابَةً وَوَعْيًـا، وأكـثرهم اسـتعداداً للتضحية، وأكثرهم كفاءة في مُجمل الميادين النضالية، وأفضلهم في مجال النزاهـة***. وإذا مـا سـمحنا لأشـخاص دون المسـتوى بـأن يصـبحوا مسـؤولين، فَسَنُـفَاجَأُ في فَتَـرَات الشِـدَّة بِانهيّـار هـؤلاء الأشـخاص، أو بِتراجعـاتهم، أو بانحرافـاتهم، أو حتّى بِخِيَّانتهم

لِمبادِئ التنظيم. وكلّما اِتَّضَحَ أن شخصا مسؤولًا لا تتوفّر فيه الشروط الكافية لِتحمّل المسؤولية، يلزم أن نَحُثَّه على الانسحاب مِن موقع تحمّل المسؤولية التنظيمية، وأن نُعوّضه بشخص يفوقه قُدرات وكفاءات. وكلما استطاع أشخاص مِن مُستوى مُتوسّط، أو أشخاص لَا يتوفّر فيهم المستوى المطلوب، أو أشخاص انتهازيون، أو أنانيون، أن يصلوا إلى تحمل مسؤوليات قيادية في التنظيم السياسي، وكلّما استطاعوا أن يبقوا طويلًا في مواقع هذه المسؤوليات، فإن مصير هذا التنظيم سيتطوّر بالضرورة من حالة سيّئة إلى حالة أسوأ، إلى أن يصبح هذا التنظيم، ضعيفًا، أو جامدًا، أو مُنحرفًا، أو مُتخلّفًا، أو مُهمّشًا، أو مُتجاوزًا.

الفكرة رقم 19: ضرورة المُحترِفين الثوريين

■ ***لا تتوفر حاليًا معظم أحزاب اليسار على قادة متفرّغين للعمل السياسي، وللنضالي الثوري.*** ومجمل قِيّاديِّي أحزاب اليسار يُمارسون شُغْلًا مِهَنِيًّا، ويَنْشغِلُون به طيلة أيام الأسبوع. ولا يقدرون على دراسة قضايا النضال السياسي إلّا خلال وقت الرّاحة الأسبوعية. وإذا كانت قيادة حزب يساري مُعَيَّن من الهُوَّاة، وليس فيها ***مُحْتَرِفُون ثوريون***، فإن هذا الحزب سيكون بالضرورة مُتَرَهِّلًا، أو هَشًّا، أو ضعيفًا. وتَقْوِيَة أحزاب اليسار تتطلّب أن تكون نسبة هامّة من قِيَّادَاتِها مُتفرّغة للعمل السياسي وللنضال الثوري. بل يجب اشتراط هذا التَفَرُّغ في الأشخاص المُرَشَّحِين لِمناصب قيادية رئيسية في الحزب.

الفكرة رقم 20: شَرط تَعاون اليَساريين مع الإسلاميين

هل نـقبَل بأن تَتَعاون قِوَى اليسار مَعَ أحزاب أو حركات إسلامية أصولية؟ لَا نـقبل ***تعاون اليساريّين مع إسلاميين***، إلَّا إذا التزموا رَسْمِيًّا، وفِعليًّا، بالمبادئ التالية: مَنْع التَكْفِير، والفَصْل بين الدِّين والدولة، والفصل بين الدِّين والسياسة، وحرّية العَقِيدَة، وحرّية العِبَادَة، وحرّية عَدَم العبادة، وعدم الاستقواء بدول أجنبية في الصراعات السياسية الداخلية. لأنه لا يُعقل أن يتعاون من يُدافع عن ***الحُرّيات***، مع من يُحاربها[8].

الفكرة رقم 21: أهمية تأطير واستقطاب الشباب

■ تَتَّجِهُ ***النسبة المِئَوِيَة للشباب في قوى اليسار*** بالمغرب إلى الانخفاض بشكل كبير. (أقصد بـ «الشباب» الفئة العُمرية المُتراوحة بين 18 و 35 سنة). وَنِسْبَة «الشُيُوخ» (séniors) في اليسار غدت غالبة، أو طاغية. ■ أصبحت أجيال الأعضاء في قوى اليسار مهدّدة بالانقراض. ■ بينما نعلم أن القُوّة الرئيسية في كلّ الثورات المُجتمعية هي الشباب. ■ => ***فَلَا يُمكن أن تُوجد حركة ثورية، بدون جماهير حَاشِدَة من المناضلين الشباب!***

■ من أين أتى هذا المُشكل؟ جاء من إهمال نسبي لأهمية العمل في أوساط الشباب. ولماذا حدث ذلك؟ لأن النقد السّابق (الذي مارسناه في نهاية سنوات 1970، أو بداية سنوات 1980) ضدّ نظرية «الشبيبة المدرسية مقدّمة تكتيكية»، وبهدف التركيز على العمل في الطبقة العاملة، مَارسناه بشكل مُطلق، ومُبالغ فيه.

[8] أنظر كتاب: رحمان النوضة، "نقد تعاون اليساريّين مع الإسلاميّين". ويمكن تنزيله من المـــــــــــــــــــــــوقعين : "LivresChauds.Wordpress.Com"، ومن "nokkade.wordpress.com".

حيث ركّزنا على تفضيل العمل في الطبقة العاملة، إلى حدّ احتقار، بل ***إلغاء***، أهمية العمل في الشباب. => وهذا خطأ، ويجب تصحيحه بسرعة.

الفكرة رقم 22 : تَرتيب الطبقات المُستهدفة

في مجال توجيه الحزب لِعَمله السياسي نحو طبقات مُحدّدة من المُجتمع أكثر من غيرها، ارتكبنا في الماضي خطأ محاولة التركيز على طبقة واحدة (هي الطبقة العاملة)، إلى درجة إهمال، بل إلغاء، العمل في الشباب، وكذلك في طبقات أخرى. وهذا خطأ، لأن الطَّلِيعِيَة المُفْتَرَضَة في الطبقة العاملة، لَا تَنْفِي أن ***كلّ طبقات الشعب تَتَكَامَلُ فيما بينها. وكلّ طبقة لها (أثناء الثورة المُجتمعية) مساهمة خاصّة*** (spéciale)، ***وضرورية*** (nécessaire). ***والترتيب المُقترح*** في مجال الطبقات المُستهدفة هو: الشباب (من الجنسين)، طبقة المُسْتَغَلِّين (العمال المأجورين في الصناعة والزراعة والخدمات)، طبقة الذين لَا يَسْتَغِلُّون ولَا يُسْتَغَلُّون (فلاحين، وحِرفيّين، ومستقلّين، وَمُعَطَّلِين)، طبقة المُسْتَغِلِّين الصغار (البرجوازية الصغيرة)، طبقة المُسْتَغِلِّين المتوسطين (البرجوازية المتوسطة)[9]. مع ضرورة مُراجعة وتثوير أساليب التأطير، والاستقطاب، والتَعبئة، والتنظيم، والتكوين.

9 أنظر كتاب "طبقات المُجتمع"، رحمان النوضة. ويمكن تنزيله من المدوّنتين "livreschauds.wordpress.com"، و"nokkade.wordpress.com".

الفكرة رقم 23: ضَرُورَة إعَادَة تَرْبِيَة أفراد الشعب

يجب على قِوَى اليسار أن تُدْرِك أنه ***تُوجد علاقة جدلية بين واقع الشعب، وواقع قوى اليسار.*** ومعنى هذه الملاحظة، هو أنه، إذا كانت غالبية أفراد الشعب متخلّفة، فإن قوى اليسار ستكون هي أيضا متخلّفة، وضعيفة. وأنه ***لا يمكن تَقْوِيَة قِوَى اليسار، إذا لم نعمل، في نفس الوقت، على إصلاح وتثوير أفراد الشعب.*** ولا يمكن أن تنجح قوى اليسار في تغيير وتثوير المُجتمع، ما دامت غالبية الشعب متخلّفة. فما هو واقع الشعب حاليًّا؟ حال الشعب مُزْرٍ[10]. وتزيد الرأسمالية العَشْوَائِيَة في تَعميق تخلف أفراد الشعب. والواقع القائم حاليًّا هو أن غالبية أفراد الشعب غارقين في الجهل، وفي الانتهازية، وفي الأنانية، وفي الغِشِّ. وَحَيْثُمَا يَنْتَشِرُ الجهل، وتَنْتَعِشُ الانتهازية، تَتَكَاثَرُ أيضًا مُختلف أنواع الخِيَانَة والجَرِيمَة. هذه هي الحقيقة حاليّا. ونجد بالتَّالِي، وبالضّرورة، صِفَات مُمَاثِلة لدى أعضاء كثيرين في صفوف أَحزاب «وطنية»، و«تَقَدّمية»، و«اشتراكية»، وحتّى «يسارية». فَلَا يمكن تَغْيِير وتَثْوِير المُجتمع، إذا لم نعمل في نفس الوقت على تَغْيِير وَتَثْوِير أكثر ما يمكن من أفراد الشعب. ولا تَجْرُأُ قوى اليسار حاليا على نقد أفراد الشعب، ولا تُحاول إصلاح تفكير وسُلُوك المواطنين. بل يجب على قوى اليسار أن تعمل من أجل إعادة تربية أكثر ما يمكن من المواطنين، في كلّ مكان، وفي كلّ الميادين، وفي كل المؤسّسات، وفي كلّ المناسبات. والثورة المُجتمعية الناجحة لا تُنْجَزُ فقط في ميدان السياسة، ولكنها تُنْجَزُ، في نفس الوقت، في عقول أفراد الشعب، وفي تفكيرهم،

[10] أنظر كتاب: رحمان النوضة، "نقد الشعب". ويمكن تنزيله من (LivresChauds.Wordpress.com)، أو (nokkade.wordpress.com).

وفي تـربيتهم، وفي تـقاليدهم، وفي عـاداتهم، وفي علاقـاتهم، وفي سُلُوكِيَّاتهم.

الفكرة رقم 24: الأهمية الحاسمة لِتَثْقِيف عامّة الشعب

سـبق لِي أن أوضـحتُ في كتـاب "المُجْتَمَعِي" (Le Sociétal)، وكـذلك في كتـاب "نـقد الشـعب"، أنـه ***إذا كانت نِسبة كبيرة من أفراد الشعب غارقين في حالة عميقة من الجَهل، والأنانية، والتَخَلُّف، والغِشّ، يصبح من الصّعب، بل من شبه المستحيل، سواءً على الدولة، أم على اليسار، أن يُحَقِّقَا تغييرات هامّة في المُجتمع***. وَسَمَّيْتُ حالة الشعب هذه بِـ ***«المِكْبَح المُطْلَق»*** (le frein absolu). ■ ولَا يمكن للمستبدِّين، وللمُسْتَغِلِّين، أن يصلوا إلى السُّلطة، ولَا أن يُحـافظوا عليهـا، إذا لم يحصـلوا على دعم قَـويّ وفَعَّال، من طرف جزء من أفراد الشعب البُسطاء، أو الفقـراء، أَو المُسْتَغَلِّين. فَلَا يمكن تحريـر الشـعب من الاسـتبداد، ومن الاسـتغلال، إذا لم تتحرّر غَالِبِيَة كُبرى من الشعب من الأفكـار الخاطئة. ■ ***وضُعف قوى اليسار مرتبط نسبياً بتخلف الشعب***. لكن من المُفـترض في اليسار أن يكون طَلِيعَة الشعب. ■ وتقويم اليسار يتطلب تـقويمًا، ولـو جزئيـا، أو نسـبيا، للشـعب. => ■ فَتَبْـرُزُ الحاجـة إلى ***خلق وإشاعة حركة ثـقافية ثورية شـاملة لكـل المُجتمـع، تكـون عميقـة، ومتواصلة***. => ■ يجب خَلق ***قناة تِلِيفِزْيُونِيَة*** مُشـتركة فيمـا بين قـوى اليسـار، يكـون مقرّهـا في بلـد أوروبي (تَلَافِيًّا لاحتمـالات القمع). ويمكن أن تكون مثلا على شكل «شَـركة ذَات مَسؤوليات

مَحْدُودَة» (s.a.r.l.). ويُستحسن أن تكون مُشتركة فيما بين أكثر ما يمكن من قوى اليسار (من المغرب، أو من عدّة بلدان ناطقة بالعربية). ويمكن بيع أسهمها إلى المواطنين المتطوّعين. ■ وقد غَدَت وَسائل التثقيف القديمة، مثل الجريدة، والمجلّة، والإذاعة، غير كَافية، أو غير فَعّالة، بالمقارنة مع قناة تَلْفَزِيَة، ومع "وسائل التواصل المُجتمعية" على شبكة الأنترنيت. ■ وَبفَضْل التقنيات الحديثة، أصبحت تكاليف قناة تَلْفَزِيَة، بما فيها تَكْلُفَة المُشتغلين فيها، أقل من السّابق. ويكفي أن يتفرّغ لها قُرابة 2 أو 3 أشخاص أكفاء.

الفكرة رقم 25: ضرورة الاحتياطات ضد القمع

■ يحتاج الحزب اليساري إلى معرفة الأجهزة القمعية، وأساليبها، ووسائلها. وبدون حدّ أدنى من الإجراءات الاحتياطية، يمكن أن يفقد الحزب اليساري استقلاله، وحرياته. ■ يجب على ***لجان متخصّصة*** داخل قوى اليسار أن تدرس التحوّلات الكيفية التي حدثت في ***الأجهزة القمعية*** بالمغرب (منذ سنة 1991، أو على الأقل منذ سنة 2011 إلى الآن). ويجب على قيادات قوى اليسار أن تأخذ هذه ***التحوّلات*** بعين الاعتبار. فإذا افترضنا أن اليسار يتوفّر على برنامج متقدّم في مجال تقويم قوى اليسار، وإذا كان تَعَامُل اليسار مع عُنصر القمع ***دون المستوى*** اللّازم، فمن الممكن أن يقدر هذا القمع على ***إفشال*** مجمل تَخطِيطات اليسار، وعلى منعه من تقوية نفسه. وتوجد بعض ***الاقتراحات*** مطروحة للدرس في مجال مقاومة القمع. لكنه من غير المعقول مناقشتها بشكل مفتوح في الساحة العمومية.

تلـك هي نمـاذج جزئيـة من الأفكـار المطروحـة في مجـال التَقْييم، والتَقْوِيم، والتَثوير، بهدف تَقْوِيَة قِوَى اليسار.

رحمـان النوضـة (وحـرّر النَصّ الأصـلي في الـدار البيضـاء، في أكتوبر 2019)

[هذا النص مُقتطف من كتاب جديد، لم يُنشر بَعْـدُ، لِلكـاتب رَحمــان النوضــة، تحت عنــوان: «نــقد تعــاون اليســاريين مــع الإسلاميين»].